١٤- موضوعات أخرى

وثَمَّ موضوعات أخرى، تناولها الشعر الأندلسى ولا أجد ذكرها مناسباً لمجموع كهذا الذى أقدِّم له، فمنها السياسى والحربى والحكمى والزهدى والصوفى، فأما الضربان الأولان فإنهما متصلان اتصالاً وثيقاً بالتاريخ وبالمناسبة التى يقالان فيها والهدف الذى يقصد إليه من وراء نظمهما، هذا إذا لم يكونا داخلين فى باب المديح كما كان الحال فى الأغلب. وأشعارهما تصاغ فى الغالب وفق نظام تقليدى متبع، مَثَلُهما فى ذلك مَثَلُ غيرهما مما سبقت الإشارة إليه من أضْرُبِ الشعر.

ولابد لفهم قصائد هذين النوعين من الإحاطة بالظروف التى قيلت فيها وتشير إليها. وأما شعر الحكمة فلم يُكثر الأندلسيون منه، وربما صدر عنهم دون توفيق كبير. وأما الشعر الزهدى الصوفى فلأهل الأندلس منه ثروة واسعة، ونحن لا نظفر فيما قالوه من هذا الضرب بشىء بَيْنَ بَيْن: أى أننا لا نجد هنا ما يشبه العاطفة الدينية العادية التى ترددت فى قلوب أعظم الشعراء الروحيين الذين أطلعتهم بلادنا، وإنما نحن نجد شعراء الزهد الأندلسيين ينتقلون طفرة واحدة من الأقوال البارعة التى لا تكاد على براعتها تسمى شعرًا، ومن المواعظ الغنية بالألفاظ التى يُساق الوعظ فيها فى قوة جدلية تخلو - على قوتها - من الروح، فتصوِّر مفازع الجحيم أو تذكر غرور الدنيا أو ثواب التوبة وعظيم أجرها - فى الشيخوخة خاصة - من هذا المستوى العادى المبتذل ينتقل الأندلسيون دون تمهيد ليِّن إلى وَجْد الصوفية أو «الثيوصوفية» وشطحات الإشراق التى لا تزال تسترسل وتدور - كحيَة تعضُّ ذيلها - حتى تنتهى بهم إلى استعمال الموضوعات الخمرية والغزلية على سبيل الرمز والتصوير.

* * *